مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: 01 جويلية 2021
العنوان: مملكة الولوف بالسنغال.. ص.ص 752- 769.

مملكة الولوف بالسنغال ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين

عواطف دودي[1]، عبد الكامل عطية [2]
1- جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،
aawatefdou.39@gmail.com
2- جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،
attia-abdelkamel@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2020/02/26؛ تاريخ القبول: 2021/02/28

Historical reading of the Wolof Kingdom of Senegal between the 13th and 19th centuries.

Abstract : The Wolof people are among the most important Senegalese peoples that represent the largest ethnicity of Negro origin in west Africa . The Wolof people, who are of Mafor origin from the. northeast ,specifically from the area opposite southeastern Mauritania, have been able throughout the ages to establish the Wolof kingdom, which is one of the African kingdoms that witnessed the North Basin to the borders of the seventh century AH-13AD.

Where it was in its first beginning that it is a region affiliated with the Islamic Empire of Mali before it was independent from it by one of its kings- the king- Nidyan Dayan Ndiaye- the latter who was able to restore its independence to become a united and sprawling kingdom that reached its height in its glory in the ninth century AH-16 AD, when it managed to extend its influence and control over all the areas between the Senegal and the Gambia rivers.

Keywords : West Sudan; Wolof; Wau; Salum; Senegal.

الملخص:
يعد شعب الولوف من أهم الشعوب السنغالية التي تمثل أحد أكبر العرقيات ذات الأصالة الزنجية في غرب إفريقيا، والشعب الولوفي الذي يعد من أصل بافور من الشمال الشرقي تحديدا من المنطقة المقابلة لجنوب شرق موريطانيا الحالية، قد استطاع هذا الشعب

تأسيس مملكة الولوف التي تعتبر إحدى الممالك الإفريقية التي شهدها حوض السنغال إلي حدود القرن السابع الهجري والثالث عشر للميلاد، حيث كانت في بداياتها الأولي عبارة عن إقليم تابع لإمبراطورية مالي الإسلامية، قبل أن تستقل عنها على يد أحد ملوكها وهو الملك " نديان ديان نديايي" (أحمد) هذا الأخير الذي استطاع أن يعيد استقلالها لتصبح بذلك مملكة موحدة مترامية الأطراف، والتي بلغت أوج مجدها في القرن التاسع الهجري والسادس عشر للميلاد، عندما تمكنت من بسط سيطرتها على كل المناطق الواقعة بين نهر السنغال وغامبيا .
الكلمات المفتاحية: السودان الغربي؛ الولوف؛ الواو؛ سالوم؛ السنغال.

مقدمة:

لم تمدنا المصادر التاريخية الشفوية منها والمكتوبة بمعلومات كافية حول تاريخ مملكة الولوف التي كانت تمثل أحد الممالك الرئيسية غير المشهورة، حيث قامت هذه الأخيرة على الضفة اليسرى لحوض السنغال الذي يعد ضمن الإمبراطوريات الإفريقية الكبرى التي امتدت حدودها في غرب إفريقيا بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، والحقيقة أن هذه المملكة لم تحظى بالاهتمام الكبير من قبل الباحثين مقارنة ببعض الممالك الإفريقية الأخرى التي قامت على ضفاف حوض السنغال كمملكتي غانا والتكرور وغيرهما، هذا وقد ظلت الدراسات الخاصة بهذه المملكة قليلة تكتفي فقط بذكر ما أشارت إليه بعض الروايات الشفوية بالإضافة إلى ما نقله بعض الرحالة الجغرافيين الذين زاروا المملكة وتحدثوا عنها في رواياتهم عن بعض المدن والعادات والتقاليد التي كانت سائدة هناك، في حين أن هؤلاء لم يتطرقوا إلى بقية الجوانب الحضارية الأخرى، وهذا ما دفعني إلى التوجه والاهتمام بدراسة هذه المملكة والتعرف أكثر عن مجالاتها الحضارية.

أولا: التعريف بشعب الولوف:

تنسب اغلب المصادر الشفوية الأصول العرقية لشعب الولوف إلى مجموعة الشعوب السنغالية التي تعد من أهم وأكبر العرقيات ذات الأصالة الزنجية في غرب إفريقيا (حمدى عبده سلامة

موسى، 2013: 102). أما بخصوص تسميتهم بشعب الولوف فتعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي ولعلها أتت من جيرانهم الماندي (أنظر التعليق رقم 01)، حيث كلمة "ولو" والتي تعني الجلد الأسود أو الجنس الأسود (ساتي صالح مهدي، 1991: 14).

ومن ضمن الأقوال الأخرى أيضا التي تفسر معنى كلمة ولوف أنها تعني القادمين من ضفة النهر، حيث كان هذا المفهوم في البداية يطلق على الفئة القيادية القادمة من والو مع مؤسس هذه المملكة، تلك التي رسمت بسلوكها العام معالم هوية الشعب الولوفي ثقافة وقيما، هكذا وقد توسع هذا المفهوم ليشمل كل المنتسبين إلى تلك الهوية، حيث صار الشعب الأصيل في الجلف - بمختلف أعراقه وأصوله- يدعى بالولوف (ولد الكاكيه المختار، 2007: 127).

وفيما يخص الموطن الأصلي لهذا الشعب فقد تركز في غرب البلاد تحديدا بمنطقة " جولوف" حيث تعد منطقتهم الرئيسية التي انطلقوا منها نحو بقية الجهات الأخرى للمنطقة، وتمكنوا فيما بعد من فرض سيطرتهم الكاملة عليها, والجدير بالذكر أن هذه الشعوب الولوفية كانوا يوجدون كأغلبية بحوض السنغال بينما يكونون الأقلية في قطر مالي، هذا وتعد منطقة البسافنا الواقعة شمال غرب السنغال تحديدا بين منطقة نهر السنغال شمالا إلى نهر غامبيا جنوبا تمثل المنطقة الأكثر كثافة لوجود هذا الشعب خاصة بعدما انتشروا بشكل واسع (ساتي صالح مهدي، 1991: 13).

وبالنسبة للكثافة السكانية لهؤلاء فقد قدر تعدادهم بحوالي 86% من مجموع سكان السنغال البالغ عددهم مليون ونصف نسمة وذلك منذ البدايات الأولى لظهورهم في منطقة حوض السنغال (مراد محمد عدنان، 1995: 112).

ولشعب الولوف مميزات عن باقي الشعوب الزنجية الأخرى التي استقرت في بلاد السنغال إذ يعد هذا الشعب من أكثر السلالات سوادا في اللون، بالإضافة لذلك فقد تميز هؤلاء أيضا بطول القامة والشعر الأسود القاتم، والنباهة الحادة والثقافة المتسعة (محمد علي ذهبي الهام، 1988: 28) .

وأما فيما يتعلق عن تاريخ وصول شعب الولوفي للمنطقة فهو غير معروف تحديدا، ولعل ما يثبت صحة هذا القول أننا لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ السنغال عموما هذا الأخير الذي ضم عدة شعوب حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، إن لم تكن بعض الأدلة الأثرية التي تثبت وجود بعض الفئات الاجتماعية من العصر الحجري القديم إلى الحقبة الأولى وإذا التزمنا الآن بالتقليد الشفوي، فسيكون شعب سوكي (socé) أقدم مجموعة عرقية موجودة في السنغال، هذا وقد أشار المؤرخ الجغرافي الأندلسي أبو عبيد الله البكري خلال القرن الحادي عشر الميلادي في روايته أن المنطقة المقابلة لسينيغا مبيا (Ciné gambie) (أنظر التعليق رقم 02) الحالية قد سجل دخولها الرسمي للتاريخ خلال نفس الفترة، حيث يروي هذا المؤرخ من خلال سرد المراحل التاريخية لظهور مملكة التكرور التي يقال عنها أنها تقع على ضفاف نهري السنغال والسنغال ربما موجودة منذ القرن العاشر حيث كانت المملكة الرئيسية التي قامت على ضفافه على الرغم من تفوق إمبراطورية غانا حتى نهاية القرن العاشر الميلادي.

ووفقا لفرضيات المؤرخ جاك ماكيه (Jack Maquet) في القرن الحادي عشر الميلادي في أعقاب الأحداث التي أثارت سقوط مملكة غانا خاصة بعد ظهور المرابطين على مسرح الأحداث هذا مما أجبر شعب السرير (أنظر التعليق رقم 03) الموجود بجانب توكولور على نهر السنغال إلى ترك هذه المنطقة ليتجه جنوبا حول نهري سين وسالوم.

وما بين القرنيين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين استقر شعب الولوف في منقطة دولوف حتى تمكن هذا الشعب من تأسيس مملكته على حساب التكرور إلا أنهم على الرغم من ذلك ظل هؤلاء تحت سيطرة إمبراطورية المانديغ (Manding) وهذا حتى القرن الخامس عشر الميلادي، علاوة على ذلك تواصل البرتغاليون مع الولوف وقدموا وصفا أوليا اثبتوا من خلاله أنه منطقة حوض السنغال في تلك الفترة الزمنية كانت تتألف من عدة شعوب غير متجانسة، ومن

بينها الشعب الفولاني (أنظر التعليق رقم 04) وسونينكي والولوف وغيرها... (Michel Perrin Loïc, 2005: 12).

وعموما يمكننا القول أن الأهمية المتعلقة بالشعوب الأصلية التي تقطن اليوم الساحل الأطلنطي جد متنوعة خاصة في منطقة السنغال منهم سكان الولوف والسرير واللذان يختصان بذكر مفصل بسبب وضعيتهما التي تختلف عن بقية الشعوب الأخرى والمتمثلة في أن هذان الفئتان لهما ميزات خاصة وما يبرز ذلك وجود شخصية مشتركة بينهما إضافة إلى أنهما يعيشان في وسط ماندي ومتواجدون في كل مكان على ساحل غامبيا إلى البنين اللذين لديهم نفس التصنيف (Le Chateller A, 1899: 64).

ثانيا: حدودها الجغرافية:

نشأت مملكة الولوف حول الضفة اليسرى لحوض السنغال ,وتباينت الرقعة الجغرافية التي شملتها الهيمنة السياسية لهذه مملكة بتباين موقعها الذي شكل نواة الأولى لقيامها, ونقط الجذب أثناء توسعها وطبيعة الأوضاع السياسية السائدة لشعبها إضافة إلى المناطق المجاورة في علاقتها مع القوة الناشئة. فقد شكلت المنطقة الواقعة بين أودية السنغال وغامبيا أقصى غرب منطقة الساحل السوداني خارج الضفة الشمالية للسنغال، وفي حدودها مع جنوب غامبيا التي توجد بها أول غابات مطيرة في كازامانس، يتم تفردها أيضا فيما يتعلق بالمناطق الواقعة شرقا ببلاد السودان من خلال منطقة من الهضاب، حيث تسخر بالخرسانة اللاحقة التي تفضل حوض السنغال عن حوض النيجر، وهي المنطقة التي اختيرت لها اسم (سينيغامبيا) بمعزل عن استعمالات أخرى التي تمد هذا الاسم لتشمل شساعة ومساحة أكبر، حيث يجمع الحوضين السنغالي والغامبي بداية من منابع الأنهار (Boulègue jean, 2013: 5).

أما الشعوب الثلاثة التي تقتسم الجزء الأكبر من القطر تتواجد بين النهرين توكولور (Toucauleur) في وديان السنغال أو (Tokrur) وولف (walaf) وسرير (Serer) والذين هم مرتبطون ببعضهم من ناحية اللغة والثقافة، أما بالنسبة لمالنكا (Malinke) بغامبيا فهي بعيدة لغويا عنها، لكن امتداد إمبراطورية مالي القديمة

ومشاركتها في بعض الحلقات من التاريخ السينيغامبي قربهم من سابقتها.

وعموما تحتل الولوف تقريبا ربع الشمال الغربي من سينيغامبيا شمال منطقة الواد السفلي للسنغال والذي طورته إلى حد كبير دلتا دلتا الشبه مغلقة وهي الواو وهي منطقة بها فيضان بموسم الأمطار، ثم تأتي منطقة كابور ذات التلال الطفيفة لكثبانها الداخلية والبطيئة (تربة الجور التي أعطت اسمها للبلد) وكثبانها البيضاء في المنطقة الساحلية، والتي تتخللها برك من المياه العذبة التي تكسر الجفاف النسبي للمناظر الطبيعية عندما تكون على الساحل من مصب نهر السنغال إلى شبه جزيرة (Cop-vert) فهي مستقيمة مسطحة رملية دون مصب مجرى مائي إن لم يكن مصب (Backwater) في (Mboro) المهمل حاليا، غير أنه كانت له بعض الأهمية سابقا، ومن الشرق " Kojoor " نحو الداخل تتوافق مع الولوف (walaf) ومع المنطقة القاحلة جدا (Ferlo) وسط الحوض السينيغامبي هضبة رملية حيث الأمطار الآبار النادرة جدا.

هكذا وأخيرا يبدأ جنوبا بلد الولوف في شبه جزيرة الرأس الأخضر ذات الحوادث البركانية الخاصة بها وبجزرها الصغيرة ليتبعها بعد ذلك منحدر واسع لريفيسك ومما بعد تبدأ بلد سيرار (Serer) (Boulègue jean, 2013: 6) .

ثالثا: تأسيسها :

تعود البداية الأولى لظهور تحديدا مملكة الولوف في السنغال إلى القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي، وذلك مع بداية تدهور مملكة مالي الإسلامية (أنظر التعليق رقم 05) عقب وفاة السلطان منسى سليمان حوالي سنة 760هـ/1360م، حيث بدأت الأقاليم الخاضعة لها تنفصل عن سلطانها الواحدة تلو الأخرى (بن رمضان زوليخة، 2015: 523) منها إقليم الولوف الذي كان خاضعا لها عندما كانت مملكة مالي في أوج توسعها، وقبل الاستشهاد بنص المؤرخ ابن خلدون حول امتداد ملك أهل مالي وهو معاصر لهم (808هـ) نود الإشارة إلى أن مملكة الولوف كانت تسمى صنغانة (أنظر التعليق رقم 06) وهو الاسم الذي يتطابق مع اسم عاصمتها

الأولى أثناء تأسيسها بوالو " شمانة" قرب مصب النهر، وهو ما نقله القلقشندي (ق9هـ) صاحب كتاب صبح الأعشى عن العمري (ق8هـ) مؤلف مسالك الأبصار وفيه ذكر في مسالك الأبصار"... أن المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليما وهي : غانا وزافون وترنكا وتكرور وصنغانة ونابغو وزرنطابنا وبينرا ودمورا وكابرا وبراغودي وكوكو ومالي...".

ومن خلال ما ورد يتضح لنا أن صنغانة كونت أحد الأقاليم الأربعة عشر المنضوية تحت حكم مملكة مالي الإسلامية فترة ازدهارها وهو ما يتفق أيضا إلى ما أشار إليه ابن خلدون أن مملكة مالي الإسلامية قد بسطت نفوذها من المحيط الإطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا، وهذا يعني أن مملكة الولوف كانت تمثل أحد أقاليمها، ومن جهة أخرى تسعى الروايات المائدية التي تحدثت عن خضوع الأقاليم للمملكة إلى وضع الفوطاتورو كحدود غربية لها، وهو ما يناسب التكرور عن العمري، علما أن مملكة الفوطاتورو كانت تضم من الناحية الإقليمية جميع مناطق التابعة للولوف وهو الوضع الذي استمرت عليه إلى حدود تأسيسها كمملكة مترامية الأطراف .

ومن هنا يتضح لنا أن جميع المناطق الممتدة بين السنغال وغامبيا انضمت تحت حكم أباطرة مالي وهذا ربما منذ القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.

ولقد ذكرت المصادر البرتغالية أن اسم "ولي" هو عبارة عن اسم لإقليم في غامبيا، لكن في الأصل أن "ولي" ما هو إلا اسم لابن الملك " سونديانا" (أنظر التعليق رقم 07)، إضافة إلى ذلك فقد تبين لنا أيضا من خلال الرواية التي جاء بها الرحالة البندقي كادا موستوا (Cada Mosto) أثناء زيارته لغامبيا بين (1456-1455م) عندما أفاد بأن البلاد يحكمها ملك كبير يخضع لمملكة مالي الإسلامية حيث ظلت هذه الأخيرة خاضعة لها إلى غاية القرن العاشر الهجري و السادس عشر الميلادي (بن رمضان زوليخة، 2015: 384) .

هكذا ومنذ القرن السابع الهجري والخامس عشر الميلادي دخلت مملكة مالي مرحلة الاضمحلال فاستقل عنها الولوف الذي يعد من أولى أقاليم الغرب الذي خرج عن سلطتها أين استفحل أمره

واستطاع تأسيس مملكة قوية وذلك بعدما تمكن من بسط سيطرته على كل المناطق الواقعة بين نهر السنغال وسالوم بالكامل، حيث فرضت عليها سيادة الولوف من طرف ملوكهم، وفي هذا الصدد تشير الأسطورة إلى أنه في القرن الثاني عشر الميلادي أن أول يوربا للولوف، أي بمعنى أول سلطان لمملكة الولوف عرف بلقب " انديان ديان نديايي" وهو الاسم الأسطوري لمؤسس هذه المملكة (Le Chateller A, 1899: 65)

يبدأ تاريخ " نديان ديان نديايي " مع أجدادهم فالكثير من التقاليد تربط أصولهم الأبوية لعبدو بكر عمار البتري المتوفي سنة 480هـ/1087م، ومن ضمن مجموعة التقاليد للولوف يعتبر أبو بكر بن عمر بمثابة الأب الحقيقي له، وحسب الرواية فإن هذا الرجل تزوج من امرأة اسمها فاطمة صال، والتي عرف عنها أنها كانت ابنة "لام تورو أبران (Lam Toro Abrane) أو عمران، وحسب الرواية فإن أبو بكر كان قد خرج في معركة أو أنه حل به مرض حسب التقاليد (lampsar sal Samba, 2011: 28)، وعموما قبل وفاته أعطى الإذن لزوجته بأن تعيد الزواج إذا أرادت، وزوجها المستقبلي يجب أن تتوفر فيه الشروط كانا قد اتفقا عليها مسبقا.

وتذكر أن أبو بكر كان له رفيق يدعى " مبارك بو" والذي يسمى في بعض الكتابات (العبد الرق القديم)، ولقد عرف السر بين أبو بكر وزوجته حسب عدة قصص، حيث قيل أنه بعد رحيل أبو بكر قررت زوجته أن تعلم ابنها "أحمد" بأنها تريد أن تعيد الزواج وأضافت كذلك أن "مبارك بو" ألم بجميع الوصايا المقدمة من طرف زوجها أبو بكر.

ومع قرب الزواج فر "أحمد" نحو النهر مصعوقا بالأخبار، ويرجح أنه مات غريقا، وقد تعددت الروايات في ذلك ليظهر بعدها في حاضرة تسمى "منقان" أو قرب قرية مبيوغار (Mboyogar) التي تقع في "ماريقو" كانت على بعد حوالي 20 كلم في الجنوب الشرقي " لسانت لويس" حاليا.

ويروى أن هذا الأخير ظهر خارج الماء عندما شاهد شباب من القرية يتشاجرون عن حصيلة الصيد الذي جنوه طيلة اليوم، حيث رأى الصيادون بأن مخلوقا عجيبا كان قد شهد كل الأحداث بعد أن التمسوا

فيه الخلق الحسن، قرر هؤلاء القبض عليه ونجحوا بذلك ليحتفظوا باسم " ندیان دیان ندیاي" الذي أعطاه والي ليصبح بذلك الملك الأول "لواو" (lampsar sal Samba, 2011: 29).

وفي رواية أخرى قيل أن أحمد بن أبي بكر ترك أخواله حول أمر غاضه منهم وهاجر نحو الواو وهي المنطقة التي فيها صنغانة في تلك الأثناء ولما وصلها أحمد وجد فيها طوائف متخاصمة فيما بينها فتمكن من الإصلاح بينهم فسر أهل الواو بموقفه اتجاههم وأمروه أن يكون ملكا عليهم، وبعدما تمكن الملك "ندیان دیان ندیاي" من وضع النواة الأولى كسلطة بالواو نزح نحو الجنوب إلى المنطقة التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم " الجلف " ومنها اشتقت هذه المملكة اسمها، بحيث أصبحت الوالو بعد هذه المرحلة بمثابة إقليم تابع لمملكة الولوف (ولد الكاكيه المختار، 2007: 125).

أما فيما يتعلق بمراحل توسعها فقد تمكنت خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي من بسط نفوذها على جميع المناطق الواقعة بين نهر غامبيا ونهر السنغال حيث شملت خلال هذه الفترة حسب ما تذكره الروايات عدة أقاليم وقد انتظمت مملكة الولوف على شكل اتحاديات أو ممالك منها (Le Chateller A, 1899: 65):

1- مملكة الواو :

وهي واحدة من أوائل الممالك في الوسط الجغرافي المسكون الآهل بالولوف، حيث تقع هذه المنطقة في شمال السنغال(lampsar sal Samba, 2011: 32) تحديدا مابين مدينتي بودور (Podor) و أندر (Ndar) (سيلا عبد القادر محمد، 1986: 34).

وقد مثلت الواو خلال القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي أحدى الدول الخاضعة لهذه المملكة، حيث اتخذت الواو في البداية "إنجوبل" كعاصمة لها ثم انتقلت إلى "اندير"، وكان ملوكها يحملون لقب "أبرك" وقد كان هؤلاء يتم انتخابهم من قبل ثلاث عائلات تعاقبت على الملك هي: " لوكر- نجيك – جوص"(ولد الكاكيه المختار، 2007: 125) .

أما بالنسبة للسكان الأوائل الذين استوطنوا هذه المنطقة هم على الأرجح "سيرار – كوزان" الذين يشتغلون في الزراعة على ضفاف

النهر منحدرين من " نامنديز- ديولند " قبل القرن السابع الهجري ثم تلتها شعوب أخرى هم البربر القادمين للمنطقة والذين سمو هذه الأرض بالوالى (Wall) والتي تعني أرض الرعي قبل أن تمتد وتصبح "Zenegu " وقد سميت أولا " Senglane " لتصبح والو والتي اشتقت منها كلمة السنغال.

ومع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بقليل كانت الواو بقيادة " نديان ديان نديايّ" الذي دمج مملكة الولوف التي تشمل كايور (Cayer), باول) (Baol) وسين, وسالوم, وجزء من فوتاتورو حتي ديمار، حيث أن هذا الملك وجدها عبارة عن تجمعات سكانية صغيرة لصناعين ومزارعين متجمعين في تنظيمات قبلية غير متمركزة تحت تبعية التكرور وكان هناك مجلس حكماء (Solahalow) مدرسة للثلاث الناخبين الكبار لوالو وكلهم أصلهم من ديا اوغو وديوغومايو وديوغودو وديادو ومنذ ذلك الحين أصبحت والو أحد الأقاليم الخاضعة لمملكة الولوف (lampsar sal Samba, 2011: 42).

2- مملكة سالوم:

تفيد الدراسات التاريخية أن سالوم كانت مع بداية القرن الخامس عشر الميلادي تابعة لمملكة الولوف حيث تم تأسيسها على يد ملك يدعى مبيجان ندور (Mbegan NDUR) وقد شهدت هذه المملكة توسعا كبيرا بحيث استطاعت أن تضم خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر كل المناطق الواقعة شمال نهر "غامبيا" وجزء كبير من بلاد السين (Sin) ، كما استطاعت أيضا أن تقيم جهازا إداريا وعسكريا محكما وقويا مما شجعها لتصبح بعد ذلك واحدة من أقوى الأقاليم في مقاطعة غامبيا، وهو ما أثار انتباه الرحالة والمغامرين الأوروبيين منهم البرتغالي أندريه ألفاريس دالمادا (Andre Alvarez Dalmada) الذي زار هذه البلاد وتحدث في روايته عن شعبها والعادات والتقاليد التي كانت سائدة فيها، ومن جهة أخرى أفادت روايته أن ملوك مملكة سالوم قد تمكنوا في نهاية الأمر من تحرير بلادهم بعدما كانت تحت سيطرة حكام غامبيا واستطاعوا أيضا

ضم عدد من حكام الولايات وبعض الأقاليم الصغرى التي كان حكام غامبيا قد بسطوا سيطرتهم عليها من قبل وكانوا يدينون بالطاعة لهم, وذلك على طول امتداد مجرى نهر النيجر (إسماعيل علي إسماعيل حامد، 2020: 90).

ومن بين الممالك الأخرى التي كانت تابعة لهذه المملكة وهي "كايور" و" باول" حيث شهدتا تأثيرا من جيرانهما من غير شعوب الولوف، ومن الإمارات الأخرى أيضا نجد:

- إمارة السيرار بالسين والسالوم
- إمارة بوندو تزعمها سلاطنة توكولار
- إمارة مادينغ والتراكولية بالسيغال العليا والممالك الصغرى لغامبيا وكرامش (Jean saint- martin Yves, 1989: 19).

رابعا : انتشار الإسلام :

يرجع تاريخ انتشار الإسلام في مملكة الولوف والدويلات المجاورة لها إلى البدايات الأولى من القرن الحادي عشر الميلادي منذ ظهور قبائل الولوف كعنصر مستقل في بلاد السنغال خلال هذه الفترة، التي بدأت في استقبال بعض المؤثرات الإسلامية التي يصعب تحديد نتائجها، فقد مر بنا أن بعض الروايات الشفوية قد أشارت إلى وجود أحد الدعاة المسلمين في المنطقة منذ سنة 1200م، ومع ذلك فإن تاريخ إسلام هذا الشعب قد يبدوا غامضا غموض الأحداث التاريخية التي جرت في الفترات المتقدمة، إذ مر تاريخ إسلام الولوف عبر مراحل تاريخية مختلفة لا تكاد تتصل حلقاتها بصورة واضحة، فبعد ظهور الإسلام كسلطة حاكمة تحت قيادة مؤسسها "نديان ديان نديايي" (أحمد) سنة 1360م لا نجد للسلطان الإسلامي أثر في مملكتهم بعد وقت قصير (ساتي صالح مهدي، 1991: 28)، وربما ذلك راجع إلى أن نسبة اعتناق هذا الشعب إلى الدين الإسلامي كانت قليلة، وكان دخول السكان الوثنيين إلى الدين الحنيف يتم بشيء من التدرج بين أوساطهم (عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، 2006: 154)، وحسب تقارير بعض الرحالة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي فقد ظل أثر الإسلام بارزا وملموسا على المستوى الشعبي، وذلك إلى أن

استعادت المملكة الولوفية أوج مجدها مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي أين لاحظ الرحالة أن الملوك والنبلاء والسادة في بلاد الولوف أغلبهم مسلمون، ولقد استمرت القاعدة الشعبية للإسلام تتسع شيئا فشيئا حتى أثبت أحد هؤلاء الرحالة الذين زاروا المنطقة سنة 1684م بأن شعب الولوف جميعهم مسلمون.

وبعدما تمكن الولوف من إحكام سيطرتهم على الضفة اليمني لنهر السنغال خلال القرن السابع عشر الميلادي استطاع هؤلاء في عهد سلطانهم من إقامة بعض الإمارات الصغيرة في بلاد السرير جنوبا منها إمارة سين وسالوم، باول، يلي وغيرها، ولقد كانت إمارة (سن) تمثل أهم إمارات السرر وكان أمراؤها على دين الإسلام تماما مثلما كان الحال مع بقية الإمارات الأخرى التي اعتنق ملوكها الدين الإسلامي.

وهكذا قد استمر انتشار الإسلام يشهد نوعا من الاستمرار بين مختلف شعوبها لتشهد هذه المملكة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي تحولا كبيرا في مسارها الديني، وتطبيق كل التعاليم الإسلامية وهو ما نتج عنه مرحلة الدخول الجماعي في الإسلام.

وعلى إثر الغزو الفرنسي للبلاد الذي استباح حرماتها، سارعت الزعامات الولوفية الحاكمة إلى اعتناق الإسلام من أجل أن يتسنى لها الانضمام والالتحاق بصفوف المقاومة الوطنية الإسلامية الرافضة للاستعمار الفرنسي، حيث نتج على إثرها اندلاع ثورات شعبية منها ثورة (مابا) المتوفى سنة 1867م، حيث استمرت هذه المقاومة الشعبية القوية تحت رايات الجهاد الإسلامي فبرز قائدها الأمير(لاجور) هذا الأخير الذي اعتنق الإسلام واستمر في المقاومة إلى غاية اغتياله سنة 1886م.

وعموما فقد سعت الشعوب السنغالية منها شعب الولوف في تطبيق المعالم الإسلامية منذ تاريخ بعيد، الأمر الذي فطن له الاستعمار الفرنسي منذ غزوه البلاد حتى سعى المحتل جاهدا لطمس معالم هذا التاريخ الجهادي بهدف القضاء على أي محاولة جهادية جديدة قد تعصف بمصالحه في المنطقة (ساتي صالح مهدي، 1991: 28).

خامسا: سقوط مملكة الولوف:

عرف التاريخ السياسي لمملكة الولوف بعد حوالي قرن من صعودها فترات من التراجع والانحطاط، وما يفسر هذا التراجع هو ما أشارت إلية المصادر البرتغالية أثناء وصولهم إلى الساحل الأطلسي حيث تفيد هذه المصادر أن مملكة الولوف كانت تتشكل من مجموعة ممالك إيلافية غير متماسكة بسبب صراعها الدائم مع الأقاليم الخاضعة لها وهي الوالو (La Walo) والكايور (Cayor) التي تقع على حدود الرأس الأخضر بإضافة إلى السين (Sin) في السرير الأكثر جنوبا، وهو ما أدى إلى تراجع قوة مملكة الولوف بسبب هذه الحروب، قبل أن تنتعش مجددا محاولة فرض سيطرتها على ممتلكاتها القديمة التي كانت بحوزتها خصوصا في سوسوكو، وولي، ويبدوا أن شعوب الولوف لم تنعم طويلا بهذه النهضة بعد اصطدامها بفولبي دينانكي الذين بدءوا يشنون هجماتهم على مملكة الولوف من جهة الشرق والشمال الشرقي، وهو ما كان من نتائجه المبكرة خراب وولي.

وفي بداية القرن السادس عشر تحديدا سنة 915هـ/1510م مارس الغزاة الجدد ضغوطات قوية أخرى على الحدود الشمالية للمملكة، والتي أسفرت هي الأخرى عن استقلال السرير من جهة الجنوب وانضمامها إلى السين واستطاعوا من خلالها تكوين مملكة موحدة مع السالوم هذه الأخيرة التي استطاعت فرض سيطرتها على ممالك المالنكي في شمال غامبيا باستثناء مملكة وولي، غير أنها في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي تحديدا سنة 956هـ/1550م دخلت مملكة الولوف طور الاضمحلال حيث بدأت تتفكك على إثر اندلاع ثورة كايور (Kojoor) أو (Coyor) فتحولت نواتها الوسطى إلى حجم مملكة صغيرة وفقيرة تحت سلطة الفولبي ديانكي (Denyanke) ولم تتملص من هذه الهيمنة إلا في سنوات (1675-1670م) عندما اندلعت الثورة المشهورة باسم (حرب المرابطين)(بن رمضان زوليخة، 2015: 525) والتي قادها الموريطاني نصر الدين سنة (1677-1673م)، حيث سيطرة هذه الحركة عن الوالو (Waloo) واستبدلت أمرائها المحليين بالمرابطين

الموريطانيين أو الولوف إلا أنها دمرت بالتدخل الفرنسي (Michel Perrin Loïc, 2005: 53) .

الخاتمة :

من خلال ما تقدم عرضه حول هذه الدراسة نخلص إلى أن مملكة الولوف تعد من ضمن الممالك الإفريقية التي شهدها حوض السنغال خلال القرن الثالث عشر الميلادي، غير أنها لم تنل شهرة كبيرة كغيرها من الممالك الأخرى، بدليل أنها لم تحظى بدراسات وافية من قبل الباحثين باستثناء بعض المعلومات القليلة التي أشار وأفاد بها بعض الرحالة العرب والأوروبيين حول تاريخ هذه المملكة الناشئة، والتي على ضوئها مكنت المهتمين بهذه الدراسة على قراءة وفهم الروايات الشفوية المتعلقة بحيثيات نشأتها وتأسيسها بالإضافة إلى انتشار الإسلام الذي تقدم ببطء في البداية بين الشعوب إلى غاية اعتناقهم له بصورة جماعية في القرن التاسع عشر الميلادي.

التعاليق والشروحات :

التعليق رقم 01 : وهم مجموعة من الشعوب المتجانسة والمتعددة الفروع، وهؤلاء من اكبر الشعوب العرقية ذات الأصالة الزنجية بين الأطلسي وأعالي نهر النيجر ولهذا الشعب عدة تسميات منها : الماندنجو الماندنكا أو الماندن وكلمة ماندنجو تعني في لهجة السوننك (عند السيد) كما تعني (ابن الأم)، أما عن ظهور هذه القبائل سياسيا على مسرح التاريخ فيرجع إلى القرن السابع عندما شكل هؤلاء دولة سياسية لهم في مملكة غانا، وأخذت تتوسع تدريجيا بإقليم كانجابا بأعالي نهر النيجر، وإضافة لذلك احتلوا مكانة بارزة في السودان الغربي كالمكانة التي أحتلها الهوسا في شمال النيجر، وتعد أكثر الممالك والإمبراطوريات الزنجية الكبرى لشعوب الماندنجو، حيث يعدون حوالي أربعة ملايين نسمة. ومن فروعهم البمبارا- المالينكية- .السوننكية – السنغاي... وغيرها. **ينظر**: عبد القادر نوري وريد، **تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن (10-4ه-)(10-16م)**،1985، ص399. **أيضا** : محمد عدنان مراد، **المجتمعات الإفريقية أصولها - تاريخها و شعوبها وثقافتها**، منشورات اتحاد كتاب العرب، د م، 1995، ص 113.

التعليق رقم 02 : وهي منطقة واسعة تضم كل المناطق الواقعة مابين نهري السنغال وغامبيا. وهي تقع على بعد بضعة أميال من منعطف النيجر تحديدا في منتصف المسافة بين الصحراء الكبرى ومنطقة الغابات .ولقد عرفت هذه المنطقة بالإضافة إلى التنوع الجغرافي تنوعا سكانيا يتألف من جماعة الولوف والماندينكا والسرير والتوكولور ولجولا وغيرهم. وقد ظلت هذه الأخيرة تابعة لدول بلاد السودان والصحراء والغابات حتى غاية القرن الخامس عشر الميلادي.غير أن انفتاحها على الأطلسي مع وصول البرتغاليين أضفى عليها كامل أهميتها الجغرافية وحتى السياسية باعتبارها طريقا تنفد منه السيطرة الأوروبية. وبوصفها أيضا منفذ آخر لمنتوجات بلاد السودان الغربي. **ينظر**: اليونيسكو، سينيغامبيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر تطور الولوف والسرير والتوكولور، ضمن كتاب **تاريخ إفريقيا العام**، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، مج 5، 1988 ، ص 304.

التعليق رقم 03 : وهم مجموعة من الشعوب الزنجية، يشبهون الولوف من الناحية الجسدية، وقد عاش هؤلاء ما بين نهري جامبيا والسنغال إلى الجنوب من الرأس الأخضر، بجوار التكرور بل يشكلون جزءا من مملكة التكرور مع قبائل الولوف، غير أنهم يختلفون عنهم باعتناقهم المسيحية مع بقاء البعض منهم على الوثنية حتى فترة متأخرة . **ينظر** : الهام محمد علي ذهبي، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1940-1850 م)**، دار المديح، د م ، 1988. ص 28.

التعليق رقم 04 : الفولاني ويطلق عليهم عدة أسماء ، فالعرب يسمونهم شعب الغلان ويطلق عليهم الطوارق اسم فولاني والهوسا يطلقون عليهم الغلافا والماند يطلقون عليهم فولا والولوف بول، أما بالنسبة لهم فيسمون أنفسهم الفولاني ؛ولقد انتشر هذا الشعب الذي وصل عدده إلى عشرة ملايين شخص بشكل واسع بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد وكان هؤلاء يشكلون بين القرنيين 14و15 الميلاديين حاجزا وثنيا ضد تقدم الإسلام غير أن اعتناقهم الإسلام خلال القرن 16م أصبحوا مهتمين لنشره وحمل لوائه، حيث

قاموا بحركة اجتماعية دينية وثقافية بهدف نشر الإسلام والقضاء على تجارة الرقيق ؛ثم اتجهوا بعدها نحو شرقا نحو إمارات الهوسا الذي أصبحت فيما بعد تعرف باسم نيجيريا، والتي نتج عنها قيام حركة إصلاحية كبرى تزعمها عثمان بن الفودي خلال مطلع القرن 13ه /19م . **ينظر**: مهدي رزق الله احمد، **المرجع السابق،** ص 247.

التعليق رقم 05 : تعد من أشهر الممالك التي شهدها السودان الغربي، والتي تأسست على أنقاض مملكة غانا سنة 636 هـ /1228م على يد قبائل الماندنجو بقيادة الملك سندياتا كيتا، هذا الأخير الذي تمكن من القضاء على قبائل الصوصو في معركة كيرينا تعاقب وقد تعاقب على حكمها عدة ملوك أشهرهم الملك منسا موسى والذي في عهده بلغت المملكة أوج قوتها ومجدها السياسي . هكذا وقد شهدت هده الأخيرة ازدهارا اقتصاديا كما شهدت أيضا حركة فكرية عبرت عنها جامعة سنكرى التي كانت تنافس قريناتها كالزيتونة وغيرها ، وهذا وقد استمرت هذه المملكة قائمة بذاتها إلى أن سقطت على يد الملك سني علي عام 1464م. **ينظر**: احمد مولاي بابير الاوراني، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية،** تح : الهادي مبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، الجمهورية العربية الليبية، 2001، ص 54.

التعليق رقم 06 : هي مدينة ذكرها أبو عبيد الله البكري في كتابة المسالك والممالك فقال «...ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل (ويقصد بذلك نهر السنغال) وعمارتها متصلة إلى البحر المحيط... »، ويفيد أيضا المؤرخ ولد حامد في التاريخ السياسي بأن كلمة صنغانة ربما يكون أصلها من "سنغن" ثم فرضت هذه الكلمة إلى السنغال، وهذا ما يرجع ربما إلى سبب تعبير البيضان على أراضي جنوب النهر باسم " اسنغان " وعموما فان صنغانة أو سنغن كانت مدينة عامرة تقع على ارض أكون على النهر مند بداية القرن 5هـ . **ينظر** : المختار ولد كاكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، د ن، د م، د ط، 2007، ص 122.

التعليق رقم 07 : وهو سندياتا كيتا بن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسى كيتا والذي يعرف باسم موسى الاكوري اشتهر هدا الأخير بلقب ماري جاطة والتي تعني الأمير الأسد على حسب تفسير ابن

خلدون ويعد هدا الملك من أشهر وأقوى الملوك الدين تولوا حكم مملكة مالي الإسلامية. ويعتبر أيضا المؤسس الحقيقي لها. **ينظر** : الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ولاء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، دار شادو، القاهرة، 1999، ص 52.

المراجع :

1. إسماعيل علي إسماعيل حامد، (2020). **تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في القصر الوسيط دراسة تاريخية، وثائقية موجزة**، د ط . د م : القاهرة.
2. الاوراني احمد مولاي بابير، (2001). **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تح الهادي مبروك الدالي، ليبيا : دار الكتب الوطنية بلغاريا .
3. الدالي الهادي مبروك، (1999). **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ولاء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، د ط . القاهرة : دار شادو.
4. ذهبي الهام محمد علي، (1988). **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1940م)**، د ط . د م : دار المديح.
5. رزق الله احمد مهدي، (1998). **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية**، د ط . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
6. زوليخة بن رمضان، (1988). **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين القرنين 5 و 10 ه/11 و 16 م**، د ط . ج 2، المملكة المغربية : دار أبي رقراق .
7. سيلا عبد القادر محمد، (1986). **المسلمون في السنغال معالم الحضارة وآفاق المستقبل**، د م : دار الكتب القطرية.
8. صالح مهدي ساتي، (1991). **مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال**، د ط. الخرطوم : المركز الإسلامي الإفريقي.
9. عبده سلامة موسى حمدي، (2013). **إفريقيا قارة الإسلام**، د ط . مصر : د د ن .

10. عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، (2006). « إمبراطورية الولوف بين المد الإسلامي والتوسع الفرنسي »، ورقة عمل مقدمة إلى **المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا،** جامعة إفريقيا العالمية، 26-27 نوفمبر 2006 .
11. مراد محمد عدنان، (1995). **المجتمعات الإفريقية أصولها - تاريخها وشعوبها** وثقافتها، د ط . د م : منشورات اتحاد كتاب العرب .
12. وريد عبد القادر نوري، (1985). **تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن (10-4هـ) -(16-10م)**، د ط . د م : د د ن.
13. ولد كاكيه المختار، (2007). **مجمل تاريخ الموريتانيين**، دط ، د م : د د ن.
14. اليونيسكو، (1988). سينيغامبيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر تطور الولوف والسرير والتوكولور، ج ت نياني، **تاريخ إفريقيا العام**، د ط، مج 5، بيروت : المطبعة الكاثولوكية .

1. Boulégue jaen. (2013). **les royaumes Wolof dans l'espace sénégambien : XIIIe- XVIIIe siècle**, Paris : Karthala édition.
2. Le Chateller A, (1899). **L' Islam dans l'Afrique occidentale**, paris : steinheil éditeur .
3. Perrin Loïc Michel, (2005). **De représentation du temps en Wolof**, Archives ouvertes.
4. Samba lampsar sal, (2011). **Ndiadiane Ndiaye et les origins de l'empire Wolof**, L'Harmattan .
5. Yves- Jean saint martin, (1989). **Le Sénégal sous le second empire : naissance d'un empire colonial (1850-1871)**, Paris : Kartala éditions .

للإحالة على هذا المقال:

ـ عواطف دودي، عبد الكامل عطية، «مملكة الولوف بالسنغال ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين، (2021)». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 752- 769.